والعباسيين والعثمانيين، وانتهاء إلى عصرنا الحاضر، عصر القرن الحادي والعشرين .

ومع حالة الضعف والوهن السياسي، وغياب الشورى، كانت هناك إضاءات وأنوار مشعه، كما كان الحال مع أنموذج عصر عمر بن عبد العزيز الأموي فقد كان غرّة في جبين ذلك العصر، وكعهد نور الدين محمود زنكي في عهد الخلفاء العباسيين، ومحمد الفاتح في عهد العثمانيين، فقد كانت عهود نهوض حضاري إسلامي عظيم.

وكانت في عهود الأمويين والعباسيين والعثمانيين تطبيقات جزئية لمفهوم الشورى، حيث شُكِّلت مجالس شورية وكانت تعقد في الولايات ومراكز العواصم، ولاشك أن غياب النهج الشوري من أسباب الأزمات والمصائب التي تعيشها الشعوب الإسلامية، إذ يغلب على هذه الدول أو الأمم غياب النهج الشوري، وبروز نمط الفردية والاستبدادية في أنظمة الحكم[1]، فالاستبداد كما يقول «الكواكبي»: داء تبتلى به بعض الشعوب في بعض مراحل التاريخ، وهو أسوأ أنواع السياسة وأكثرها فتكاً بالإنسان[2].

عاشراً: تفعيل حقيقة الشورى في الشعوب الإسلامية:

من أهم الوسائل والرؤى التي تساعد على عودة الشورى إلى حياة المسلمين:

(1) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 269.
(2) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص: 5.

1 ـ جعل الشورى الطريقة الوحيدة لكسب أي نظام حكم الشرعية من الشعب أو المجتمع أو الأمة:

لا بد من الرفض الجماعي لكل أنواع القوة، من قوة في فرض الرأي إلى قوة السلاح والانقلاب العسكري، لكي تأخذ الشعوب حقها الطبيعي في اختيار الحاكم أو القائد، وفق آلية شورية وانتخاب صحيح[1].

يقول عبد القادر عودة: ولقد قبل الفقهاء إمامة المتغلب اتقاء للفتنة وخشية للفرقة، ولكنها أدت إلى أشد الفتن وإلى تفريق الجماعة الإسلامية وإضعاف المسلمين، وهدم قواعد الإسلام، ولو علم الفقهاء الذين أجازوا ذلك ما سوف تؤدي إليه لما أجازوها لحظة واحدة[2].

يقول محمد الغزالي: إني لا أعرف ديناً صب على المستبدين سوط عذاب وأسقط اعتبارهم، وأغرى الجماهير بمناوأتهم والانتفاض عليهم كالإسلام[3].

ونحن من أنصار الكفاح والجهاد السلمي ضد الاستبداد والمظالم ومع وعي الجماهير وتثقيفها لكي يرجع إليها حقها في اختيار من يقودها.

(1) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 355.
(2) الإسلام وأوضاعنا السياسية، ص: 170.
(3) الإسلام والاستبداد السياسي، ص: 69.

2 ـ الدور الاجتماعي في تنمية الشورى:

فمن أهم الخطوات الأساسية في مفهوم الحراك الاجتماعي، التنشئة الاجتماعية للفرد والأسرة والعائلة الكبيرة، فمن القضايا المهمة للمجتمع إشاعة ثقافة الشورى في الأسرة والعائلة[1].

إن أصغر وحدات الأمة تكويناً وتأثيراً في ثقافتها السياسية هي بلا شك خلية الأسرة، التي يتلقى فيها الإنسان التوجيهات الأولى لالتزام المثل العليا في الطاعة والانضباط والتضحية وأداء الواجبات، والتسامح، والتعاون، والتشاور[2]. فالأسرة في الرؤية الإسلامية، نموذج مصغّر للأمة والدولة، تقابل القوامة فيها الإمامة أو الخلافة على مستوى الدولة، وتحكمها الشريعة وتدار بالشورى، ويشبه عقد الزواج فيها عقد البيعة، ويتم اللجوء عند النزاع إلى الآليات نفسها التي يلجأ إليها في حل النزاع على مستوى الأمة، أي الصلح والتشاور والتحكيم[3]، فإذا أردنا مجتمعاً شورياً حقيقياً فلا بد أن نهتم بأساليب التربية الأسرية ونقوّمها حتى نسهم في توجيه النشء إلى السلوك الشوري السوي[4].

فالشورى على نطاق المجتمع في أسره وعوائله تسبق العمل السياسي، وهي لا تأتي اعتباطاً أو نسخاً فورياً من حضارة إلى حضارة أخرى، بل هي عملية تراكمية تكاملية في الفكر والوجدان

(1) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 359.
(2) الشورى ومعاودة إخراج الأمة، ص: 153.
(3) المصدر نفسه، ص: 153.
(4) المصدر نفسه، ص: 154.

الشعبي والرسمي معاً، وهذا ما يشكل قوى اجتماعية ضاغطة، وكمؤسسات المجتمع المدني وغيرها ضد أي تسلط فردي أو حزبي في المجتمع، فالشورى ليست عملية إلكترونية أو عضوية ارتجالية، أو هي نتاج عملية زرع في أنبوب اختبار وتحت مراقبة الخبراء والعلماء والحكماء، وليس من الصحيح القول بأن الشعب غير مهيأ لقبول الشورى أو ليس أهلاً لذلك، أو هو كالخراف الضالة، والتي جاء الحاكم ليقودها بمهارته وقدراته الفائقة، أو أننا في حالة حرب وطوارئ وأحكام عرفية، أو لا بد من تحرير فلسطين، أو قيام الوحدة العربية أو الإسلامية أولاً حتى نطبق الشورى، مما يلزم إلغاء الشورى لتنفرد بالقرار جماعة أو حاكم، فكل هذا لا يصح شرعاً ولا قانوناً ولا عرفاً[1] ولا عقلاً، فهناك تحدٍّ يلازم الشعب والجمهور في إقرار الشورى في أنفسهم وعقولهم، كما كان يواجه الحاكم تحدي الإذعان والانصياع لرأي الجمهور، والإشكالية تتحدد في معرفة كيفية تحويل قيمة الشورى، ـ كتوجه مؤثر ـ على النخب الحاكمة إلى اختيار واعٍ، قائم على بلورة خيارات اقتصادية وسياسية واجتماعية قوية متماسكة[2].

3 ـ وعي سياسي للفرد والرعية والحاكم لأهمية الشورى:

فالشورى لا تنمو في مجتمع أو شعب أو أمة لا تعي معنى وقيمة الشورى، أو لا ينظر بعين الاعتبار والاهتمام للوضع السياسي، أو مصاب بداء عدم الاكتراث السياسي فالأصل أن يكون الناس أو

(1) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 363.
(2) المصدر نفسه، ص: 364.

الرعية على درجة عالية من الوعي والإدراك لأهمية الشورى في تسيير حياتهم وخطورة الاستبداد أو الحكم المطلق كما يسميه الشيخ «محمد الغزالي»[1]، في إيقاف تطورهم ونموهم، ولن تنمو الشورى أو تتطور في ظل جهل الناس بها، أو بقيمها العليا[2]، وكما يقول الكواكبي: الأمة التي لا يشعر كلها، أو أكثرها، بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية[3].

4 ـ تفعيل المجتمع المدني والمؤسسات الشعبية:

وجعل المال والتنمية والحركة الاقتصادية حرة، لأن في هيمنة المؤسسة السياسية الرسمية عليها هيمنة على الجو الشوري أو الديمقراطي داخل الدولة، فإذا تحقق وجود مجتمع مدني قوي، فالنظام الشوري يفترض وجود مجتمع مدني له بنية قوية، يرتبط بمجتمع سياسي متكامل، كلاهما مستقل بقدر الإمكان عن الدولة، باعتبارها السلطة التي تعمل باسم الأمة، فالأنظمة الدكتاتورية تعتاش على معولين أساسين في استعباد الناس:

أ ـ القوة: وهي بذاتها ليست مذمومة، إذ لا بد من استعمال القوة للمحافظة على القانون، وطرد الأشرار، ولأن الحكم أو الولاية ـ كما يقول ابن تيمية ـ لها ركنان: القوة والأمانة، القوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى

(1) الإسلام والاستبداد السياسي، ص: 34.
(2) الشورى، المصدر السابق، ص: 364.
(3) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص: 140.

الخبرة بالحروب والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة والقوة في الحكم بين الناس، ترجع إلى العدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشترى بآياته ثمناً قليلاً، وترك خشية الناس[1].

لكن الحاكم المستبد يجعل من حكمه بوسيلة القوة حكماً دهماوياً، أجهزة أمنية وعسكرية واستخبارية، أو هي بالأحرى الأنظمة العسكرية المطلقة، لاعتبار أنها أنظمة جاءت عن طريق الثورة أو الاستقلال الزائف، هذا الاستقلال الذي اعتمد على الثورة الشعبية، ثم حوّلها إلى جيش عسكري لحماية النظام، وبعبارة أخرى أن يتحوّل الجيش من أداة لخدمة الشعب ومصالحه ضد الأعداء، إلى أداة لخدمة النظام الحاكم، وقمع أي ثروة، أو محاولة للمطالبة بالحقوق الشرعية للرعية، عن طريق قوات الجيش، أو قوات مكافحة الشغب[2].

ويتحكم الرئيس وأعوانه بالمؤسسات المالية والتجارية والاقتصادية، وتعود كل أصولها ومنافعها على الحاكم وحاشيته وهكذا، مما يعني فشل تجربة المجتمع المدني، وجعل الشعوب تترقب وتخاف من تحركات الحاكم ضدها باستمرار، ومن هنا تكمن خطورة الحاكم على مؤسسات المجتمع المدني[3].

كما أن من القضايا التي تؤخذ على مؤسسات المجتمع المدني

(1) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص: 14.
(2) الشورى ، د. سامي الصلاحات، ص: 367.
(3) المصدر نفسه، ص: 369.

أن تنحصر في تبعية الأحزاب السياسية، وهذا ما أكده تقرير التنمية الإنسانية برعاية الأمم المتحدة في العالم العربي (5 إبريل 2005م) بنقده دور بعض منظمات المجتمع المدني التي قال إنها: تعاني من تبعيتها للأحزاب السياسية التي تتخذها واجهة لتوسيع نفوذها، ولم تحقق الآمال المعلقة عليها في تجاوز الأزمة السياسية، بل أصبحت بدورها أسيرة لها.

إن نفوذ المجتمع المدني في مزاحمته لنفوذ الدولة الرسمية أو أجهزتها المتسلطة سيؤدي إلى إيجاد توازن وأرضية صلبة للجمهور والرعية في الوقوف ضد تعسف الدولة ضدهم[1].

5 ـ رفض الهالات والقداسة عن الرؤساء والحكام:

فالإسلام لا يقدس الحكام أو الرؤوساء أو أهواء الأمراء أو الولاة، وبعبارة أوضح وأعم، الإسلام لا يقدس الأشخاص، أو أهواءهم، فلا عبرة لذلك البتة، فالأصل في الشريعة أن: المصالح المجتلبة شرعاً والمفاسد المستدفعة، إنما تعتبر من حيث تُقام الحياة الدنيا للحياة الآخرة لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية[2]، حتى أن النبي ﷺ على كرامة منزلته كان يقول في حق تقديس الأشخاص والأفراد ولو كان هو ذاته: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»**[3].

(1) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 370.
(2) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي (1/ 351).
(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (6/ 583).

وهذا التقديس أو الإطراء قد يصل إلى مرحلة عبودية الفرد الحاكم أو ما يمكن أن نسمّيه حكم المطلق، وأن يصل حال الحاكم المعبود إلى وثن وصنم يعبد من دون الله، بعدما تم تركيز السلطة عسكرياً وسياسياً وأمنياً في شخص رئيس الدولة، يقول الأستاذ «محمد قطب»: فأما الحقوق السياسية التي تفاخر بها الديمقراطية، فقد كان الإسلام أول من أزال القداسة عن الحاكم، بإفراد الله بالألوهية والربوبية، فلا يعبد إلا الله... ولا حاكم له حق التشريع إلا الله[1].

فطبيعة الحكم في الإسلام أن يرفض أن يعطي طابع الشخصية للمؤسسة الحاكمة، فهي مؤسسة لا شخصنة بها، وهذا يساعد على محاسبة الحكام والحكومة والنظام بأسره، إذا كان هناك خروج عن الشرع، وعن الدستور المتفق عليه، بل لا بد أن يكون هناك إحساس بخطر المسؤولية الملقاة على عاتق الحاكم أو الحكومة، ولعل قول عمر بن الخطاب ﷺ: لو ماتت شاة على شاطئ الفرات ضائعة، لظننت الله ﷻ سائلي عنها يوم القيامة[2]، ما يوضح ذلك.

6 ـ الحكم الإسلامي مدني لا عسكري:

لقد جسد الخلفاء الراشدون ﷺ مدى مدنية الحكم في الإسلام، وأن العسكر ما هم إلا موضع خدمة للشعب والأمة والسلطة الشرعية وليس من الصحيح أن قائد الجيش بقوته وسلطانه يمكن أن يكون رئيساً للدولة عبر قوة السلاح[3]، وفي قصة عزل

(1) مذاهب فكرية معاصرة، ص: 242.
(2) مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، ص: 190.
(3) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 378.

عمر بن الخطاب ﷺ للقائد العسكري للمسلمين خالد بن الوليد ﷺ، ما يدل على ما ذهبت إليه، وقد ذكرت في كتابي عن: «عمر الخطاب» ﷺ أسباب عزل خالد وملخصها.

أ ـ حماية التوحيد:

ففي قول عمر ﷺ: «ولكن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به»، يظهر خشية عمر من فتنة الناس بخالد وظنهم أن النصر يسير في ركابه، فيضعف اليقين بأن النصر من عند الله سواء كان خالد على رأس الجيوش أم لا، وهذا الوازع يتفق مع حرص عمر على صبغ إدارته للدولة بالعقائدية الخالصة، وبخاصة وهي تحارب أعدائها حرباً ضروساً متطاولة باسم العقيدة وقوتها، وقد يقود الافتتان بقائد كبير مثل خالد نفسه إلى الافتتان بالرعية، وأن يرى نفسه يوماً في مركز قوة لا يرتقي إليها أحد، وبخاصة أنه عبقري حرب ومنفق أموال، فيجر عليه وعلى الدولة أمر خُسْر، وهو إن كان احتمالاً بعيداً في ظل ارتباط الناس بخليفتهم عمر وإعجابهم به، وفي ظل انضباط خالد العسكري وتقواه، فقد يحدث يوماً ما بعد عمر، ومع قائد كخالد، مما يستدعي التأصيل لها من الخوف من قائد صغير لم يُبْلِ أحسن البلاء ولم تتساير بذكره الأنباء[1].

وقد أشار شاعر النيل «حافظ إبراهيم» إلى تخوُّف عمر فقال في عمريته في الديوان:

وقيل خالفت يا فاروق صاحبنا ... فيه وقد كان أعطى القوس باريها
فقال خفت افتتان المسلمين به ... وفتنة النفس أعيت من يداويها

(1) عبقرية عمر، للعقاد، ص: 158.

ب ـ اختلاف النظر في صرف المال:

كان عمر يرى أن فترة تأليف القلوب وإغراء ضعفاء العقيدة بالمال والعطاء قد انتهت، وصار الإسلام في غير حاجة إلى هؤلاء، وأنه يجب أن يوكل الناس إلى إيمانهم وضمائرهم حتى تؤدي التربية الإسلامية رسالتها في تخريج نماذج كاملة لمدى تغلغل الإيمان في القلوب، بينما يرى خالد أن ممن معه من ذوي البأس والمجاهدين في ميدانه ما لم تخلص نيتهم لمحض ثواب الله، وأن أمثال هؤلاء في حاجة إلى ما يقوي عزيمتهم ويثير حماستهم من هذا المال[1]، كما أن عمر ﷺ كان يرى أن ضعفة المهاجرين أحق بالمال من غيرهم، فعندما اعتذر إلى الناس بالجابية من عزل خالد، قال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفه المهاجرين، فأعطاه ذا البأس[2]، ولا شك أن عمر وخالداً مجتهدان فيما ذهبا[3] إليه، ولكن عمر أدرك أموراً لم يدركها خالد ﷺ.

ج ـ اختلاف منهج عمر من منهج خالد في السياسة العامة:

فقد كان عمر يصرّ على أن يستأذن الولاة منه في كل صغيرة وكبيرة، بينما يرى خالد أن من حقه أن يُعطى الحرية كاملة من غير الرجوع لأحد في الميدان الجهادي، وتطلق يده في كل التصرفات إيماناً منه بأن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، ولعل من الأسباب

---

(1) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، شعوط، ص: 134.
(2) البداية والنهاية (7/ 115).
(3) التاريخ الإسلامي، للحميدي (11/ 147).

أيضاً، إفساح المجال لطلائع جديدة من القيادات حتى تتوفر في المسلمين نماذج كثيرة من أمثال: خالد، والمثنى، وعمرو بن العاص، ثم ليدرك الناس أن النصر ليس رهناً برجل واحد[1]، مهما كان هذا الرجل[2].

د ـ موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل :

تلّقى المجتمع الإسلامي قرار العزل بالتسليم، لحق الخليفة في التولية والعزل، فلم يخرج أحد من مقتضى النظام والطاعة والإقرار للخلافة بحقها في التولية والعزل[3]، فاختيار الأمة لعمر بن الخطاب، كخليفة أعطته حق العزل للقادة الكبار، وأن العسكر ما هم إلا بتصرف من السلطة الشرعية.

والشورى لا تنمو في ظل أنظمة عسكرية أو انقلابية، أو ديمقراطية الانقلابات، والتي آمنت أن السيف هو الطريق للحكم، فهذا معاوية بن يزيد «41هـ ـ 64هـ» المكنى: بأبي ليلى، بُويع بعد وفاة أبيه، ومكث في الحكم أربعين يوماً، يقول للناس لما قرب أجله: فإني ضعفت عن أمركم، فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب، حين استخلفه أبو بكر، فلم أجد، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى، فلم أجد، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم، وفيه يقول الشاعر:

إني أرى فتنة تغلي مراجلها ... فالملك بعد أبي ليلى لمن غلبا

(1) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص: 134.
(2) عمر بن الخطاب، للصّلّابي، ص: 350.
(3) المصدر نفسه، ص: 350.

وكما ذكر التاريخ، وقعت معارك دامية بين الأمويين وحلفائهم، حتى انتقل الحكم إلى المروانيين من بني أمية، ولا بد قبل المطالبة بالشورى أو الديمقراطية أن تكون هناك حركة اجتماعية تغييرية، أو ما يسمى بالتحول الاجتماعي نحو تقبل الشورى والديمقراطية[1].

7 ـ الاستجابة لمتطلبات الشعوب والتغيرات التي تحدث في المجتمعات وفق مقاصد الشريعة:

كما فعل عمر بن الخطاب بأرض السواد من العراق والشام حيث جعلها أراضي خراج، فجعل عليها إيراد للأراضي التي افتتحها المسلمون عنوة وأوقفها لمصالح المسلمين على الدوام، فعندما قويت شوكة الإسلام بالفتوحات العظيمة، وبالذات بعد القضاء على القوتين العظيمتين: الفرس والروم، وتعددت موارد المال في الدولة الإسلامية وكثرت مصارفه. وللمحافظة على كيان هذه الدولة المترامية الأطراف وصون عزها وسلطانها، وضمان مصالح العامة والخاصة، كان لا بد من سياسة مالية حكيمة ورشيدة فكر لها عمر ﷺ، ألا وهي إيجاد مورد مالي ثابت ودائم للقيام بهذه المهام، وهذا المورد هو: الخراج، فقد أراد الفاتحون أن تقسم عليهم الغنائم من أموال وأراضي، وقام عمر ﷺ بحوارٍ شوريٍّ موسعٍ مع كبار الصحابة ظهر فيه أسلوبه في الجدل، جمع فيه قوة الدليلِ وروعة البيان واستمالة المخالف. وانتهى الأمر بكبار الصحابة ورجال الحل والعقد إلى إقرار رأي الخليفة ﷺ بتحبيس الأرض على أهلها، وتقسيم الأموال المنقولة على الفاتحين[2].

(1) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 379.
(2) عمر بن الخطاب، للصَّلّابي، ص: 252.

وفي هذا نظر عميق إلى التطبيق العملي لروح الشريعة ومقاصدها العظيمة ومراعاة المتغيرات الكبيرة التي تحدث على الحياة بمختلف مجالاتها، أي أن النظر الإصلاحي يجب أن يصحب الحاكم وأعضاء مجلسه الشوري، الذين هم في الحقيقة مستودع للأفكار في دعم وإسناد الحاكم في نظرته لتطبيقات روح الدستور، وفعاليته في المجتمع والدولة[1].

وقد بيّن الفاروق في حادثة أراضي السواد في العراق والشام بأنه مجرد فرد في هيئة الشورى، وأعلن الثقة في مجلس شورى الأمة، سواء خالفه أو وافقه والرد إلى كتاب الله، فقد قال ﷺ: إني واحد منكم، كأحدكم وأنتم اليوم تقرون بالحق، خالفني من خالفني، ووافقني من وافقني، ومعكم من الله كتاب ينطق بالحق[2].

8 ـ الحرص على حرية البحث العلمي واستقلاليته:

فالبحث العلمي لا ينمو في ظل أنظمة دكتاتورية لا تؤمن بالشورى، وما حدث في أوروبا من تعسف وقتل ضد العلماء في ما يسمى بالصراع ما بين العلم والكنيسة، والتي نتج عنه ما يسمى بالعلمانية خير دليل على ما ذهبنا إليه، يقول «الكواكبي»: ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم، ولأن للعلم سلطاناً أقوى من كل سلطان، لذا فإن بين الاستبداد والعلم حرباً دائمة وطراداً مستمراً[3].

وفي هذه الدراسة نؤكد على دور الإبداع والتجديد في الفكر

(1) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 283.
(2) عمر بن الخطاب، للصّلّابي، ص: 254.
(3) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص: 50، ص: 52.

بصورة عامة، والفكر السياسي بصورة خاصة، إذا أردنا الوصول إلى خلق نظام إبداعي تنموي في دولنا وأنظمتنا الحاكمة مع الابتعاد قدر الإمكان عن الخوض في المسائل التي لا فائدة فيها، والتوجه بالكلية إلى البحث والدراسة في المسائل المجدية[1]، كما يقول الشاطبي: من العلم ما هو من صلب العلم، ومنه ما هو ملح العلم لا من صلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا ملحه والذي عليه مدار الطلب. وإليه تنتهي مقاصد الراسخين، والشريعة المباركة المحمدية منزلة على هذا الوجه ولذلك كانت محفوظة في أصولها وفروعها، لأنها ترجع إلى حفظ المقاصد التي بها يكون صلاح الدارين[2].

9 ـ مواجهة التحديات الحضارية:

إن حقيقة الأنظمة المستبدة أنها أنظمة غير شجاعة ولا تقدر على مواجهة التحديات الحضارية، وأن الاحتلال الخارجي لن يكون منقذاً للشعوب أو داعماً لمنهج الشورى، ولقد أثبت التاريخ أكثر من حادثة وواقعة من أن المستجير من ظلم الحاكم إلى المستعمر كالمستجير من النار بالرمضاء، والاستبداد لا ينتمي إلى الإسلام البتة، بل إن نقيض الشورى حتماً هو الاستبداد، وهذا الأخير فيه من الصفات والأوصاف ما يعكس خلاف الشورى في كل صغيرة وكبيرة وعلى حد توصيف الكواكبي له، يقول: إذا أراد الاستبداد أن يحتسب وينتسب، لقال: أنا الشر، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة، وعمي الضرر، وخالي الذل، وابني الفقر، وبنتي

(1) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 387.
(2) الموافقات في أصول الشريعة (1/52).

البطالة، ووطني الخراب، وعشيرتي الجهالة[1].

إن تقدم الشعوب وقدرتها على مواجهة التحديات الحضارية يعتمد على نشر العدل وإعطاء الحقوق السياسية لأفرادها وجماعاتها، بكافة أنواع الحقوق الفردية والجماعية، ولقد عاشت أمتنا الإسلامية في أوج حضارتها وتقدمها، عندما كانت تحافظ على هذه الحقوق وتعطي كل ذي حق حقه، وهَوَتْ وسَقَطَتْ لما تجاوزت تلك الحقوق[2]، فعلى سبيل المثال جاء عصر صلاح الدين، الفاتح العظيم للقدس ومحررها بعد عصور من الذلة والهوان، والقهر السياسي بين المسلمين وحكامهم، فيروي ابن الأثير، عن عصره، فيقول: قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين من قبل الإسلام ومنه إلى يومنا هذا، فلم أر فيه بعد الخلفاء الراشدين، وعمر بن عبد العزيز ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين، ولا أكثر تحرياً للعدل والإنصاف منه، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره، وجهاد يتجهز له، ومظلمة يزيلها، وعبادة يقوم بها، وإحسان يوليه، وإنعام يسديه، فلو كان في أمة لافتخرت به، فكيف ببيت واحد؟[3] فقد قام صلاح الدين ونور الدين والشعوب التي التفت حولهم بمواجهة التحديات الحضارية. ومن أراد التوسع فليراجع كتابي عن صلاح الدين الأيوبي، وكتابي عن نور الدين محمود الشهيد، ففيها تفاصيل مهمة في نهضة الأمة، ومقاومتها للمشاريع الغازية.

(1) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص: 71.
(2) الشورى، د. سامي الصلاحات، ص: 289.
(3) التاريخ الباهر، ص: 163.

الخلاصة

وبعد... فهذا ما يسّره الله لي من حديث عن الشورى تضمّنها هذا الكتاب، وقد سميته «الشورى في الإسلام» فما كان فيه من صواب، فهو محض فضل الله عليّ، فله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى، وأتوب إليه، والله ورسوله بريءٌ منه، وحسبي أنّي كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ، وعسى ألا أُحرم من الأجر.

وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:10]

ويقول الشاعر:

واتق الله فتقوى الله ما ... جاوزت قلب امرئ إلّا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلاً ... إنما من يتقي الله البطل
واهجر الخمر إن كنت فتى ... كيف يسعى في جنون من عقل
كتب الموت على الخلق فكم ... فلّ من جمع وأفنى من دول
أين نمرود وكنعان ومن ... ملك الأمر وولى وعزل

أيـن عـاد أيـن فـرعـون ومـن ... رفع الأهرام من يسمع يخل
أيـن مـن سـادوا وشـادوا وبـنـوا ... هـلـك الـكـل ولم تـغـن الـقـلـل
أيـن أربـاب الحجـا أهـل الـنـهى ... أيـن أهـل الـعـلـم والـقـوم الأول
سـيـعـيـد الله كـلاً مـنـهـم ... ويـجـزي فـاعـلاً مـا قـد فـعـل
أيّ بـنـي اسـمـع وصـايـا جمعت ... حكماً خصت بها خير الملل
اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل
واحتفل للفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمال أو خَوَل
واهجر النومَ وحصّله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تـقـل قـد ذهـبـت أربـابـه ... كل من سار على الدرب وصل
في ازدياد العلم إرغام العِدى ... وجمال العلم يا صاح العمل
أنـا لا أخـتـار تـقـبـيـل يـد ... قطعها أجمل من تلك القبل
واتـرك الـدنـيا فـمـن عـادتها ... تخفض العالي وتعلي من سفل
قـيـمـة الإنـسـان مـا يحـسـنـه ... أكـثـر الإنـسـان مـنـه أو أقـل
إن نـصـف الـنـاس أعـداء لمن ... ولي الأحـكـام هـذا إن عـدل
قـصّـر الآمـال فـي الـدنـيا تـفـز ... فـدليل الـعـقـل تـقـصـير الأمـل

سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.